مجلة الجامعة الأسمرية: العلوم الشرعية والإنسانية
المجلد (33) العدد الأول (يونيو 2020)

# الديانات الوضعية عند العرب في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام

**تهاني رمضان العربي**

قسم التاريخ، كلية الآداب، الجامعة الأسمرية الإسلامية، زليتن، ليبيا.

**Email:** alarbay90@gmail.com

## الملخص

**هدف** البحث إلى دراسة الديانات الوضعية عند العرب في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، من حيث ظهور الإنسان على الأرض وتطوره ووصوله لمرحلة الإدراك، الذي استطاع من خلاله الوصول إلى العقيدة التي يؤمن من خلالها بوجود قوى خفية تحميه من الأخطار، حيث وصل إلى هذه العقيدة من خلال ما يحيط به من ظواهر طبيعية أقوى منه زرعت الرعب في قلبه؛ لذا حاول جاهدًا تفسير ذلك، **واستخدم** لتحقيق أهدافه المنهج السردي التحليلي، ومن **نتائجه** أن ظهرت الديانات الوضعية التي هي من صنع الإنسان، فمنها من نبع من بيئته، وأخرى دخلت إليه من خلال علاقاته بالدول المجاورة وتأثره بها، فعبد آلهتهم التي لا تنفع ولا تضر.

**الكلمات المفتاحية:** الديانات الوضعية، الديانات البدائية، الديانات الحضرية، الطوطمية، المجوسية.

## المقدمة

عاش العرب في شبه الجزيرة العربية في فترات ما قبل التاريخ حياة بدوية بسيطة، مشوش الأفكار والتخيلات، محاولًا الوصول إلى تفسير ما يحدث حوله من مظاهر، ومعرفة من المسؤول عن كل هذه الأشياء، ومن هذا المنطلق اجتهد


ISSN: 2706-9524 (Print) ISSN: 2706-9532 (Online)

بأفكاره واعتقد في أبسط الأشياء بجانبه، فجاءت أديانه متعددة ومتأثرة بالحياة الاجتماعية، ولذلك وضع عدة ديانات اعتقد بها قبل ظهور الديانات التوحيدية، وهذا ما سيتم الحديث عنه بشيء من التفصيل في الصفحات التالية.

**فرضية الدراسة**

إن تطور الفكر الإنساني ووصوله للإدراك أبزغ عدة ديانات وضعية، كان لها الأثر البالغ في حياته قديمًا، تمهد من خلالها العقل الإنساني إلى الوصول إلى فكرة التوحيد وإلى حقيقة وجود الله.

**أهداف الدراسة**

يهدف البحث إلى الإجابة على عدة تساؤلات منها:

- ما مفهوم الدين وكيفية نشأته؟
- ما هي الديانات الوضعية لعرب الجزيرة العربية؟
- ما المقصود بالديانات البدائية وانقساماتها؟
- التعريف بالديانات الحضرية لعرب الجزيرة العربية قديمًا.

**أهمية الدراسة**

ترجع أهمية البحث إلى كونه يفتح مدارك العقول إلى الفكر الإنساني قبل ظهور الديانات التوحيدية، وكيفية نشأة الدين وتطوره في شبه الجزيرة العربية.

**المنهجية**

اعتمدت الباحثة على المنهج السردي التحليلي القائم على جمع المادة التاريخية من المصادر والمراجع ومن ثم إخضاعها للتحليل وإثباتها بالأدلة والبراهين.

وقد قسمت الدراسة إلى ثلاث محاور رئيسية، تمهيد عن تطور الفكر الإنساني ونشأة الدين، ومحور أول ناقش الديانات البدائية لعرب الجزيرة العربية

قديماً، بينما تضمن المحور الثاني الديانات الحضارية لعرب الجزيرة العربية قديماً، وذيل البحث بخاتمة بها أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، ضف إلى ذلك قائمة بالمصادر والمراجع.

❁ ❁ ❁

## تمهيد

ترتبط فكرة ظهور الدين بفكرة وجود الإنسان على الأرض، والتي من غير الممكن تحديد وجوده عليها منذ الوهلة الأولى، إذ رجحت بعض الدراسات على آثار وجوده بأنها برزت في الدور الجيولوجي الثالث والرابع، حيث يمتد الواحد منهما إلى خمسمائة ألف سنة تقريبًا[1]، وخلال هذه الفترات الزمنية السحيقة، كان الإنسان هو الحيوان أو الإنسان الحيواني، أما الإنسان العاقل القادر على إدراك ما حوله لم يبزغ على الوجود إلا بعد مرور وقت طويل بعد أن استطاع أن يستغل ما حوله فيما يخدم أغراضه والتي تبدأ ملامحها أثناء العصر الحجري القديم، وهذا ما أجمع عليه المؤرخون، فمخلفاته الأثرية ورسوماته التي على جدران الكهوف والجبال كانت خير دليل على إدراك الإنسان ما حوله، ومن هذا المنطلق ظهرت الفكرة الدينية لدى الإنسان[2].

وقد أكدت الدراسات الأثرية أن الإنسان منذ العصر الحجري القديم أصبح يهتم بالحفاظ على أجساد موتاه وتزويدها بما يلزم بعد عملية الدفن، وهذا إن دل دلَّ على إيمان الإنسان بعقيدة الخلود والبقاء[3]، والتي تأكدت لديه بفعل ظهور واختفاء الظواهر الطبيعية، كالزلازل، والبراكين، والفيضانات، وظهور الشمس والقمر وعملية الولادة، مِمَّا زرع الرعب في قلبه فدعي به الأمر إلى تقديسها ونسج القصص الخرافية حولها[4].

---

[1] موريس كروزيه، موسعة تاريخ الحضارات العام، ترجمة: أندريه ايمار، جانين أبواية، ط 2، عويدات، بيروت، 1986م، ج1، ص 23.

[2] المرجع نفسه، ج1، ص 24.

[3] نفسه، ج1، ص 25.

[4] حسن الشيخ، العرب قبل الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993م، ص 191.

ومِمَّا لا شك فيه أن هذه القصص خرجت نتيجة "لخيال الإنسان مر به الإدراك البشري"، وكانت نتيجة هذا الإدراك، هو الوصول إلى حاله من الخضوع والتأمل الروحي التي أوصلته إلى فكرة الدين، الذي هو الاعتقاد بوجود روح خفية تتحكم بالبشر[1].

وفي هذا المضمار تم تفسير نشأة الدين من قبل المؤرخين حسب نظريتين هامتين هما:

**النظرية التطورية:** والتي تفسر بأن فكرة الإله قد وجدت لدى الإنسان القديم، بشكل عقائد وُلدت من الإنسان أو الجماعة، وبالتالي فإن الدين من عمل الإنسان، أما النظرية الثانية فهي النظرية الفطرية: «والتي تروي بأن الدين هو فكرة فطرية موجودة في عقل الإنسان تم غرسها به موجود أعلى»[2]، أي: للدين قوة خارجية بعيدة عن عمل الإنسان.

ومن هذا المنطلق فإن أديان العرب قديمًا، انبثقت من إيمانهم بوجود قوى وأرواح تدير الطبيعة، وتشرف على سير حياة الإنسان، كما أن الدين جاء متأثرًا بالظواهر الطبيعية التي تحدث في الواقع البشري[3].

ومن ثَم خرجت ديانات وضعية للإنسان القديم في شبه الجزيرة العربية، من وضعه متأثرة بما يحدث من ظواهر اجتماعية وطبيعية، فتعددت أشكالها على حسب البيئة التي يعيش بها، كالطوطمية، والروحية والفيتيشية والوثنية، ويمكن تقسيم الديانات الوضعية للعرب في الجزيرة العربية قديمًا إلى:

[1] المرجع نفسه، ص 196.

[2] نفسه، ص197.

[3] برهان الدين دلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، ط 2، دار الفارابي، بيروت، د.ت، ص 527.

**أولاً: الديانات البدائية لعرب الجزيرة العربية قديمًا**

**أ) الطوطمية والفيتيشية:**

الطوطمية: وهي مصطلح مشتق من كلمة أبجوية objeway شاع استعمالها عند الهنود الحمر في أمريكا، ولكنها قديمًا وفي الجزيرة العربية كانت تطلق على كائنات –سواء نبات كان أم حيوان– تحترمها بعض القبائل المتوحشة، حيث اعتقد أفراد هذه القبائل بوجود صلة نسب بينهم وبين هذه الطواطم، لذا اعتقدوا أنها تحميهم وتدافع عنهم، لذلك قدموا لها مظاهر التقديس والاحترام، فإن كان حيوانًا لا يقوموا بقتله، وإن كان نباتًا امتنعوا عن قطعه أو أكله إلا في أوقات القحط[1].

ومن علامات وإشارات الطوطمية في الحياة الدينية عند عرب الجزيرة العربية، أنه وجد منهم من تسمى بأسماء حيوانات مثل: بني كلب، بني ضبيعة، بني أسد، بني فهد، بني جحش، بني حنش أو أسماء أفراد، مثل: وثعلب وذئب، أو طيور، مثل: عقاب ونسر، أو نبات، مثل: حنظله، أو بأسماء جماد، مثل: صخر و حجر[2]، والجدير بالذكر أنه جرت عادة العرب على تسمية بعض أبنائها بمكروه الأسماء مثل: كلب، ومرة، وضرار، وحرب، وعبيدها بمستحب الأسماء، تيمنًا بمدلول الاسم، ليبعث في نفوس الغزاة الرعب من جهة الأبناء، والترويح عن النفس من ناحية العبيد لما اتصفت به حياة العرب في البادية من قسوة وشدة، ويذكر القلقشندي ذلك بما روي عن أبى الدقيش الكلابي: "لما تسمون أبناءكم بشر الأسماء نحو : كلب وذئب، وعبيدكم بأحسن الأسماء ، نحو: مرزوق ورباح؟ فقال: إنما نسمي أبناءنا لأعدائنا وعبيدنا لأنفسنا"[3].

ومِمَّا لا شك فيه أن العرب اعتقدت في الطوطم من باب تحصيل البركة، وأنه يدافع عنها في حالة وقوع الخطر، لذا كانوا يحملونه معهم إلى المعارك، من

---

[1] محمد عبدالمعيد خان، الأساطير العربية قبل الإسلام، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2005م، ص 69.

[2] جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط 2، جامعة بغداد، 1993م، ج1، ص 520–521.

[3] أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الفكر، بيروت، 1987م، ج1، ص 363–364 .

أجل شد عزائم مقاتليهم، حيث حمل أبو سفيان ابن حرب معه اللات والعزى يوم أحد، و اعتقدوا أن يغوث دافع عن قبليته في ساحة الوغى، إذ قال الشاعر:

وسَارَ بِنا يَغوث إلى مراد فَناجزْناهم قبل الصباح[1]

بالإضافة إلى ذلك تفاءلت العرب بالطير، مثل: الحمامة، ونباح الكلاب في الليل لمجيء الضيوف، إلَّا أن العربي تشاءم من الثور الأغضب مكسور القرن، والغراب، إذ قيل: أشْأم من غراب البين، إلا أنهم قد عدلوا عن وصفه بذلك الاسم مخافة أن تصيبهم نقمة، وقالوا: أصفى من عين الغراب[2]، كما وُجد من العرب من حرم لمس الطوطم والتلفظ باسمه، وتجلى ذلك في كنايتهم للمنهوش أو الملدوغ بالسليم، ولقبت النعامة بالمجلم، والأسد بأبي الحارث، والضبع بأم عامر، والثعلب بابن أوى[3].

وكانت بعض القبائل العربية إذ مات حيوان من نوع طوطمها حزنت عليه ودفنته، فقد ذُكر أن قبيلة بني الحارث وجدوا غزالًا ميتًا قاموا بتغطيته ودفنه وحزنت عليه لمدة ستة أيام[4]، غير أن العربي اضطر في بعض الأحيان وبحكم طبيعة بلاده إلى أكل إلهه، مثلما فعلت بنو حنيفة الذين عبدوا إلهًا من حيس، وبعد أن أصابتهم مجاعة أكلوه، فقيل فيهم:

اكلت حنيفة ربها زمن التقحم والمجاعة

لم يحذروا من ربهم سوء العواقب والتباعة

مبررين أكلهم لإلههم باعتقادهم أن قوة طوطمهم ستنتقل إليهم إذا أكلوه في وليمه جماعية[5]، كما عُرف عن قبيلة قريش وغيرهم من العرب أنهم قدسوا شجرة قريبة من مكة أطلق عليها أسم ذات أنواط، ويذكر الأزرقي ذلك بقوله: "وكانت لكفار قريش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة يقال لها : ذات أنواط

---

[1] شهاب الدين أبى عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م، مجـ 5، ص 273.

[2] السيد عبدالعزيز سالم، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، دار النهضة العربية، بيروت، 1971م، ص 459.

[3] محمد عبدالمعيد خان، مرجع سابق، ص 92.

[4] المرجع نفسه، ص 93.

[5] برهان الدين دلو، مرجع سابق، ص 531.

يأتونها كل سنة فيعلقون عليها أسلحتهم ويذبحون عندها ويعكفون عندها يومًا"[1].

**أما الفيتيشية:** وهي ديانة تتجلى في اعتقاد العربي وتقديسه للأشياء المادية كالحجارة؛ لإيمانه بوجود قوة خفية تحل فيها، لذا فإن المعبود هو الروح، أي بمعنى أن الفيتيشية هي عقيدة عبادة الروح في الأشياء التي بإمكانها منع الأذى عنه[2].

اتفق أغلب المؤرخون أن الفيتيشية من أكثر الديانات البدائية انتشارًا عند عرب الجزيرة، حيث كان الرجل إذا عزم السفر جمع أربعة أحجار و انتقى أفضلها، فاتخذها ربًا له وجعل الأخريات أثافي لقدره، و إذ قدر له الرحيل تركه، فما أن نزل منزلًا أخر حتى عاد إلى فعل ذلك، وتقربوا لها بذبح القرابين عندها، واعتمدوا على انتقاء الحجارة الغريبة الشكل، فما أن رأوا حجرًا غريبًا حتى تركوا الحجر القديم[3]، ويقول المسعودي في هذا: "حتى خلف الخلوف ونسوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره، فعبدوا الأوثان، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات"[4]،وقد وردت في القرآن كريم إشارة إلى هذه العبادة في قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾[5]. وهناك أيضًا إحدى الروايات التي تدل على عبادة العرب للحجر، هي عبادتهم لصخرة اللات، فروي عن عمر بن لحي أنه قال للناس بوجود روح رجل من ثقيف دخلت وحلت بها، فأقاموا عليها بنيان، وأمر الناس بعبادتها[6].

---

[1] أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرقي، أخبار مكة، ( د. ط.)، (د. ت.)، ج 1، ص 82؛ الحموي، مصدر سابق، مج : 1، ص 273.

[2] برهان الدين دلو، مرجع سابق، ص 529.

[3] أبو جعفر بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، هذبه: صلاح عبدالفتاح الخالد، خرج أحاديته: إبراهيم محمد العلي، دار القلم، دمشق، 1997م، ج 5، ص 611.

[4] أبو محمد عبدالله بن هشام، السيرة النبوية، قدمها: عبدالرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، 1975م، ج1، ص 72.

[5] سورة الفرقان، الآية 43.

[6] محمود عرفة محمود، العرب قبل الإسلام (أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهر حضارتهم)، دار الثقافة العربية، القاهرة، 2002م، ص 228.

**ب) عبادة الأسلاف والاعتقاد في الجن**

**عبادة الأسلاف:**

من معتقدات العرب البدائية –أيضًا– تقديسهم لقبور أسلافهم، حيث اتفق المؤرخون أن الأسباب التي حملتهم على ذلك، هي: حبهم وتقديرهم للأجداد والأبطال والرؤساء، لاعتقادهم في استمرار تقديمهم الحماية والدفاع عن الجماعات التي ينتمون إليها، على غرار ما كانوا يقومون به أثناء حياتهم، وإذ لم يكن التمجيد هو الدافع، فكان الخوف إذا ارتبط الأمر بالمحاربين البارزين والزعماء الذين كانوا يرعبونهم قبل مماتهم[1]، وربما دفعهم إلى ذلك إجلالهم لبعض الصلحاء من قومهم، الذين نالوا حب واحترام الجميع، فعملوا على تقديس قبورهم.

ويتضح ذلك من قوله –صلى الله عليه وسلم– بتسوية القبور مع الأرض، ولعن المتخذين على القبور المساجد والسرج، ونهى عن الصلاة على القبور، ومن حديث: "اشتدّ غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"[2]، وذلك لأن المشركين على عهد الرسول –صلى الله عليه وسلم– كانوا يقدسون قبور أسلافهم، لذا حارب هذه العادة، ونهاهم عنها وأمرهم بتسوية تلك القبور.

**الاعتقاد في الجن:**

شمل الاعتقاد في الجن معظم أنحاء الجزيرة العربية في العصر الجاهلي، فقد صور خيال العربي له الجن في صوّر متعددة، منها: ما يشبه البهائم المشعرة ذات الشعر الكثيف والطويل، أو على صورة بعض الحيوانات كالنعام والثعبان، أو على هيئة إنسان (النسانس أو النسناس) وأحيانًا نصف إنسان[3]، غير أن المسعودي قال: أن النسانس هي صفة تطلق على من لا خير فيه، حيث ((ذكر أن الحسن قال ذهب الناس وبقى النسناس ، وقال الشاعر ))[1]:

---

[1] جواد علي، مرجع سابق،ج6، ص 47؛ توفيق برو، تاريخ العرب القديم، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1996م، ص 288.

[2] جواد علي، مرجع سابق، ج6، ص 142.

[3] برهان الدين دلو، مرجع سابق، ص 534.

ذهب الناس فاستقلوا، وصرنا خلفًا في أراذل النسناس[1].

كما أنهم ينزلون الجن في مراتب مختلفة. فيذكر الجاحظ: "ثم ينزلون الجن في مراتب، فإذا ذكروا الجن سالمًا، قالوا: جني، فإذا أرادوا ممن سكن مع الناس قالوا: عامر، والجميع (الجمع) عُمار، وإن كان ممن يعرض للصبيان فهم أرواح، فإن خبث أحدهم وتعرَّم فهو شيطان، فإذا زاد على ذلك فهو مارد، فان زاد على ذلك في القوة فهو عفريت من الجن والجميع (الجمع) عفاريت"[2]، وقد تمت الإشارة في القرآن الكريم إلى العفاريت في قصة سيدنا سليمان –عليه السلام– وبلقيس ملكة سبأ: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ [3].

ويذكر الجاحظ الجن أيضًا: "ان طهر الجن ونظف ونقى، وصار خيرًا فهو ملك"[4]، ويبدو أن الاعتقاد في الجن قد عمَّ مختلف أرجاء الجزيرة العربية في فترة ما قبل الإسلام، ويتجلى ذلك في ما رواه أهل الأخبار والتاريخ ممن كتبوا للبدو، كوهب بن منبه، وابن إسحاق، وغيرهما: "في أن الله تعالى خلق الجان من نار السموم، وخلق منه زوجته، كما خلق حواء من آدم، وأن الجان غشيها، فحملت منه، وأنها باضت إحدى وثلاثين بيضة، وأن بيضة من تلك البيض تفلقت عن قطربة، وهي أم القطارب، وأن القطربة على صورة الهرة، وأن الأبالس من بيضة أخرى منهم الحارث أبو مرة، وأن مسكنهم البحور، وأن الْمَرَدة من بيضة أخرى مسكنهم الجزائر، وأن الغيلان من بيضة أخرى، مسكنهم الخلوات والفلوات، وأن السعالي من بيضة أخرى (وهم سكنت الحمامات والمزابل)، وأن الهوام من بيضة أخرى، سكنوا الهواء في صورة الحيات ذوات أجنحة يطيرون

---

[1] أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر، بيروت، 2000م، ج2، ص 224.

[2] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب الحيوان، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، 1988م، ج2، ص 190.

[3] سورة النمل، الآية 39.

[4] الجاحظ، مصدر سابق، ج2، ص 190.

هنالك، وأن من بيضة أخرى الدواسق، وأن من بيضة أخرى الحماميص"[1]، يتضح مِمَّا ذكر، بعض أسماء الجن التي أطلقها العرب عليها، بالإضافة إلى أماكن إقامتها التي تصورها عرب ذاك الزمان، والتي تشتمل على الأماكن المقفرة والموحشة والمواضع المقرفة؛ ولعل ما دفعهم إلى تصور ذلك هو خوفهم أو كراهيتهم من هذه الأماكن.

وقد وُجدت دلائل في القرآن الكريم على الاستعاذة بالجن، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [2]، كما يشار إلى عبادتهم للجن في قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾[3].

❁ ❁ ❁

## ثانيًا: الديانات الحضارية لعرب الجزيرة العربية قديمًا

### أ) عبادة الأجرام السماوية (الكواكب والنجوم):

ورد في نصوص القرآن الكريم إشارة إلى حيرة الإنسان خلال هذه الفترة حول اعتقاده في الكواكب، وذلك من خلال قصة إبراهيم . عليه السلام . قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٰٔفِلِينَ (76) فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ (77) فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [4].

لذا وُجد من العرب من اعتقد في الكواكب والنجوم، لاسيما في شمال الجزيرة العربية وجنوبها، وكان من أشهرها: القمر، الشمس، الزهرة، إلا أن درجة تقديسها اختلفت من منطقة إلى أخرى ومن دولة إلى أخرى أو قبيلة وقبيلة، كما أنها عُرفت بأسماء مختلفة، إلى جانب عبادتها كآلهة مذكرة في مناطق ومؤنثة

[1] المسعودي، مصدر سابق، ج 2، ص 164.

[2] سورة الجن، الآية 6.

[3] سورة سبأ، الآية 41.

[4] سورة الأنعام ، الآيتان 76– 78.

في مناطق أخرى[1]، وعُرفت عبادتهم للأجرام السماوية في ذلك الوقت بالصابئة، إذ اعتقدوا أن الكواكب هي أقرب الأجسام إلى الله[2].

ركز عرب الجنوب في عبادتهم للكواكب على الثالوث المذكور أعلاه، ومثلَّ عندهم عائلة مقدسة واحدة، فالقمر مثل الأب والشمس هي الأم، والزهرة مثلت الابن. وخُوطبت بأسماء عدة فعند المعنيين عُرف القمر بـ (ودم أبم) و(أبم ودم) أي (ودٌّ أبْ) و(أبْ وَدٌّ) لاعتباره أبًا لإلهة، كما كان أبًا للإنسان، ومن خلال الكشوفات الأثرية لمنطقة جنوب الجزيرة العربية عثر العلماء على نقوش محفورة على الأخشاب والحجارة تحمل اسم (ودم أبم) أو (أبم ودم) بقصد التبرك والتيمن، وعُرف عند السبئيين باسم (المقه)، ولدى القتبانيين باسم (عم)، وفي حضر موت باسم (سن وسين)، كما تعددت الرموز والصفات الدالة عليه، فمن صفاته العادل والمبارك والمعين والحامي[3]، ورمز له بالوعل والنسر والثور والحية[4]، وتجدر الإشارة إلى أن الثور هو رمزًا من رموز القمر في بعض النصوص اللحيانية والثمودية والأشورية أيضًا، أضف إلى ذلك أن عبادة القمر وجدت في الجزر الإغريقية مثل: جزيرة ديلوس[5].

يمكن الاستدلال مِمَّا سبق أن القوافل التجارية قديمًا –سواء كانت من أبناء الجنوب العربي أم سواها– لم تقتصر على نقل السلع من منطقة إلى أخرى، وإنما ساهمت في تبادل الأفكار والمعتقدات وهو ما يفسر تعدد وتشابه المعبودات في جزيرة العرب؛ مع ما يحيط بها من مناطق ودول أخرى.

وكذا الحال بالنسبة للشمس إذ تعبّدها بعض العرب في الجنوب، كما عبدها غيرهم، مثل: البابليين والكنعانيين والعبرانيين، وعُرف بيت عبادة الشمس ببيت

---

[1] نعمان محمود جبران، وآخرون، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام، مؤسسة حمادة للخدمات الجامعية، اربد، الأردن، 1998م، ص 302.

[2] محمود عرفه محمود، مرجع سابق، ص 252.

[3] محمد الخطيب، المجتمع العربي القديم، دار علاء الدين، دمشق، 2005م، ص 157.

[4] نعمان محمود جبران، و آخرون، مرجع سابق، ص 303.

[5] قصي الحسين، موسوعة الحضارة العربية "العصر الجاهلي، دار البحار، بيروت، 2007م، ص 298.

شمس[1]، به صنمًا بيده جوهرة حمراء اللون، ويقيمون له شعائر الصلاة بالبيت ثلاث مرات في اليوم، وقت طلوعها، ووقت توسطها الفلك، ووقت غروبها[2]، وتعد من الآلهة المؤنثة عند عرب الجنوب، بينما عُرفت كإله مُذكر عند بعض عرب الشمال[3]، فقد عُرفت عند التدمريين باسم (حمن) وكذلك عند الأنباط، وعند الفنيقين باسم (بعل حمون) كما وُجِدَ من العرب من تسمى بـ (عبد شمس)، وترجح المصادر أن سبأ الأكبر أول من تسمى بها[4]، وفي القرآن الكريم إشارة إلى أن سبأ كانت تصلي وتسجد للشمس، قال تعالى: ﴿فَمَكُثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ (22) إِنِّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (23) وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾[5]، ومِمَّا يدل على عبادة الشمس . أيضًا . قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[6].

كما تعبد بعض العرب للزهرة، وعُرفت بأسماء متعددة، منها: عشتر، عشتار، أثرو عشترون، اشتار)[7]، واختلفت وجهة النظر إليها فهي ذكرٌ في النصوص العربية الجنوبية ويسمى عثتر، وبمثابة الابن للشمس والقمر، أما في شمال الجزيرة العربية فإن الزهرة هي أنثى وليست ذكرًا[8]، فعرفت لدى أهالي الرافدين

[1] قصي الحسين، مرجع سابق، ص 298.
[2] توفيق برو، مرجع سابق، ص 284.
[3] نعمان محمود جبران، وآخرون، مرجع سابق، ص 304 .
[4] قصي الحسين، مرجع سابق، ص 298.
[5] سورة النمل، الآيات 21– 24.
[6] سورة فصلت، الآية 35.
[7] نعمان محمود جبران، وآخرون، مرجع سابق، ص 305 .
[8] قصي الحسين، مرجع سابق، ص 299.

باسم نجمة الصباح[1]، بينما ذكرها القرآن الكريم باسم (الطارق)[2]، في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَآءِ وَالطَّارِقِ(1) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا الطَّارِقُ(2) النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾[3].

بالإضافة إلى ذلك عبدت أو اعتقدت العرب بكواكب ونجوم أخرى. إذ عبدت قبائل لخم وخزاعة وحمْيَرْ وقريش (الشعرى) وكانت تسميه العبور لأنها تعبر السماء عرضًا[4]، وهي التي ورد ذكرها في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ﴾[5]، كما عبدت لخم المشتري، وقبيلة أسد عطارد، وكنانة عبدت القمر، و طيئ عبدت الثريا وسهيل[6].

وربما كان مرجع العرب إلى تقديس بعض الكواكب والنجوم، ما هو إلا سعيًا إلى معرفة الأزمنة والمواسم، إذ اختاروا ثمانية وعشرين نجمًا رأوا أنها منازل ينزل القمر في كل ليلة منزلاً منها، فيعلمون بالنظر إليها كم ماضَّ وكم بقى من أيام الشهر، وجعلوا من سقوطها وطلوعها معالم زمنية، يستدلون بها على فصول السنة وحلول المواسم والأوقات، ومواعيد المطر والرياح والحر والبرد[7]، وما ذلك إلا دليل على حضارة متقدمة، وعلمًا دقيقًا بحركة الأفلاك وتقلب الفصول والمواسم والأزمنة، وكما سبقت الإشارة إلى أن طائفة من العرب قد تعبدت للكواكب والنجوم، إلا أن ذلك لا يعني أنها تنكر وجود الله، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾[8].

---

[1] سبتينو موسكاتي، الحضارات السامية القديمة، ترجمة: السيد يعقوب بكر، دار الرقي، بيروت، 1986م، ص 194.

[2] توفيق برو، مرجع سابق، ص 284.

[3] سورة الطارق، الآية 1-3.

[4] برهان الدين دلو، مرجع سابق، 560؛ سعد عبود سمار، المعتقدات الميثودينية عند العرب قبل الإسلام، تموزة، دمشق، 2016م، ص 43.

[5] سورة النجم، آية 49.

[6] السيد عبدالعزيز سالم، مرجع سابق، ص 276.

[7] عرفان محمد حمُور، مواسم العرب، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006م، ج1، ص277.

[8] سورة العنكبوت، الآية 61 .

كما عُثر في جنوب الجزيرة العربية على نقش يعود إلى حوالي عام 378م، أظهر طابعًا توحيديًّا. إذ دلَّ على بناء معبد للإله (ذي سموي) أي إله السماء، بينما تذكر نقوش أخرى اسم الرحمن رب السماء والأرض[1].

**ب) عبادة الأصنام:**

إلى جانب الكواكب والنجوم كان العرب يعتقدون –أيضًا– بالأصنام. وأقصد بالاعتقاد هنا أن العرب ظلوا يؤمنون بالله، غير أنهم أشركوا بعبادته الأنصاب والأصنام والأوثان، وغيرها. ويمكن استقراء ذلك من الآيات الكريمة الآتية، قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [2]، وقوله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[3].

لقد انتشرت هذه العبادة في شبه الجزيرة العربية انتشارًا واسعًا، وعُرفت بأسماء وأشكال مختلفة، ونظرًا لتعدد هذه المعبودات عند العرب، ستتم الإشارة إلى بعض ما تم ذكره منها في القرآن الكريم، وما ذكره بعض المؤرخين، فكان منها الأصنام والأوثان والأنصاب، وقبل الخوض في تفاصيل هذه العبادة يجدر توضيح هذه الكلمات الثلاث، فالصنم هو: ما كان معمولًا من معدن أو خشب وعلى صورة إنسان، أما الوثن فهو ما كان على صورة إنسان من الحجارة، وغالبًا يتم الخلط بين الاثنين[4]، أما النصب أو الأنصاب فقد ورد ذكرها في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ

[1] نعمان محمود جبران، وآخرون، مرجع سابق، ص 306–307.

[2] سورة يونس، الآية 18.

[3] سورة الزمر، الآية 3.

[4] محمد الخطيب، مرجع سابق، ص 165.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[2].

ويذكر المفسرون أن الأنصاب حجارة كانت حول الكعبة تنصب، فيهل عليها ويذبح عندها تقربًا إليها وتعظيمًا لها، وأن ما يذبح عليها يسمى على الأصنام[3].

تضاربت الآراء في أول من عبد الأصنام من العرب، وقيل: هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر، إذ اتخذوا **سواعًا**، فكان لهم برهاط من أرض ينبع. وقد قال فيهم الشاعر:

تراهم حول قيلهم عكوفًا كما عكفت هذيل على سواع
يظل جنابه برهاط صرعى عتائر من ذخائر كل راع[4]

وقيل: "أن كلب بن وبرة من قضاعة ، اتخذوا **ودًا** بدومة الجندل. وأنعم من طيئ واهل جرش من مذحج اتخذوا **يغوث** بأرض جرش، وخيوان وهم بطن من اتخذوا **يعوق** بأرض همذان من بلاد اليمن. وذو الكلاع من حمير اتخذوا **نسرًا** بأرض حمير"[5].

وتُعد هذه الأصنام الخمسة من أقدم الأصنام عند العرب وأنها كانت تعبد منذ عهد نوح[6]، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا (21) وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا (22) وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا (23) وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا﴾[7].

---

[1] سورة المائدة، الآية 3.

[2] سورة المائدة، الآية 90.

[3] علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الخازن، باب التأويل في معاني التنزيل، صححه: عبدالسلام محمد علي شاهين دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م مجـ: 2، ص75؛ برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تخريج: عبدالرزاق غالب المهدي، ط 4، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م، مجـ: 2، ص 390.

[4] محب الدين أبي فيض الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الفكر، بيروت، د. ت.، ج5، ص 390 .

[5] السيد عبدالعزيز سالم، مرجع سابق، ص 465-466.

[6] توفيق برو، مرجع سابق، ص293 .

[7] سورة نوح، الآيات 20- 24.

كما تُعَدُ الأصنام الثلاثة: مناة، اللات، العزى من أقدم الأصنام عند العرب، والتي ورد ذكرها في الآيات الكريمة، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ (19) وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰ (20) أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ﴾[1]. وهي آلهة مؤنثة عند العرب، وتعد مناة أقدمها، وقيل: أن موضعها على ساحل بحر القلزم عند المشلل بقديد – وهو مكان بين المدينة ومكة– وكان أكثر من يُعظمها من العرب أهل يثرب من الأوس والخزرج، فكانوا يحجون إليها، وعندها يحلقون رؤوسهم، وفي تعظيم الأوس والخزرج لمناة، يقول عبدالعزى بن وديعة المزني:

إني حلفت يمين صدق برة  بمناة عند محل أل الخزرج[2]

وعُبدت أيضًا في مكة وخزاعة وهذيل، ومثلت عندهم آلهة الحظ والقدر، لكون اسمها مشتق من المنا وهو القدر، والمنا بمعنى الموت، بالإضافة إلى ذلك ورد ذكرها ضمن معبودات الأنباط إذ وجدت في نقوشهم باسم منوت، وعند التدمريون أيضًا، كما عرفها اللحيانيون والمصريون القدامى، ورأى بعض المستشرقين أن مناة مثلت آلهة القضاء والقدر، وهي شبيهة بآلهة الحظ عند الإغريق[3]، وكان من مظاهر التقديس والاحترام التي قدمها العرب لمناة، أنهم لا يولونها ظهورهم، إذ قيل فيها:

وقد ألت قبائل لا تولي  مناة ظهورها متحرفينا[4]

أما اللات فهي صنم أهل الطائف، وهي عبارة عن صخرة بيضاء، وسدنتها من ثقيف بني عتاب بن مالك، و ذكر الطبري في تفسيره، أن اللات: هو رجل كان يلت السويق للحجاج، ويعجنه، ويطعمهم إياه، فلما مات عكفوا على قبره، ثم جعلوا له صنمًا عبدوه من دون الله [5]، وكان من العرب من حلف بها،حيث حلف أوس بن حجر:

---

[1] سورة النجم، الآيات 19– 21.

[2] السيد عبدالعزيز سالم، مرجع سابق، ص 470.

[3] السيد عبدالعزيز سالم، مرجع سابق، ص 470.

[4] نعمان محمود جبران، وآخرون، مرجع سابق، ص 292.

[5] الطبري، مصدر سابق، ج 7، ص 129؛– للمزيد انظر: الأزرقي، مصدر سابق، ج 1، ص 79.

وباللات والعزى ومن دان دينها وبالله إن الله منهن أكبر[1]

يبدو أن العرب لم يتسموا بعبد اللات وذلك من خلال الأسماء العربية المركبة، مثل: تيم اللات، عمر اللات، زيد اللات[2]، وكان تحت صخرة اللات حفرة عرفت باسم غبغب، توضع بها الهدايا والأموال، بينما تعلق القلائد والسيوف على الصنم، وفيها قال كعب بن مالك الأنصاري:

وننسى اللات والعزى وودًّا ونسلبها القلائد والسيوف[3]

أما العزى فقيل فيها: أنها كانت شجرات يتعبدون إليها، أو أنها حجرًا أبيض، أو كانت بيتًا بالطائف تعبده ثقيف، وربمَّا ببطن وادي نخلة[4]، وأُرجحها الرأي الأخير استنادًا لما ذكره الأزرقي: "وكان العزى ثلاث شجرات سمرات بنخلة وكان أول من دعا إلى عبادتها عمرو بن ربيعة والحارث بن كعب، وقال لهم: إن ربكم يتصيف باللات لبرد الطائف ويشتوا بالعزى لحر تهامة..."[5].

وعُرفت العزى في مناطق أخرى بأسماء مختلفة، إذ وجدت عند اللخميين في الحيرة، وعند عرب الجنوب باسم عثتر، وارتبطت في حياة العرب بأمور الزواج، لذا كانت الفتيات الراغبات بالزواج يقمنَّ ببعض الأعمال طلبًا لذلك من العزى[6].

تتفق المصادر العربية في أن عمرو بن لحي الخزاعي هو أول من أدخل عبادة الأصنام إلى الحجاز، غير أن بعضهم اختلف في المكان الذي أحضر منه الأصنام، فابن هشام يذكر: "أنه خرج إلى مآب من أرض البلقاء بالشام، وبها يومئذ العماليق فرآهم يعبدون الأصنام، فسألهم عنها، فأجابوه قائلين: هذه أصنام نعبدها، فنستمطرها فتمطرنا، ونستنصرها فتنصرنا، فقال لهم: أفلا تعطونني منها صنمًا فأسير به إلى أرض العرب فيعبدوه، فأعطوه صنمًا يقال

[1] عبد المنعم الهاشمي، موسوعة تاريخ العرب "العصر الجاهلي "، دار الهلال، بيروت، 2006م، ص 449.

[2] قصي الحسين، مرجع سابق، ص 305.

[3] توفيق برو، مرجع سابق، ص 294.

[4] الطبري، مصدر سابق ،ج7، ص 129-130.

[5] الأزرقي، مصدر سابق، ج 1، ص 79.

[6] نعمان محمود جبران، وآخرون، مرجع سابق، ص 291.

لـه: هبل، فقدم بـه إلـى مكـة ، فنصـبه وأمـر النـاس بعبادتـه وتعظيمـه))[1]،ويـذكر الازرقي: "إنما جاء عمرو بن لحى بالصنم هبل من هيث بالعراق حتى وضعه في الكعبة"[2]، وكانت العرب إذا عَزمتْ أمرًا ذهبت إلى أعظم أصنامها، ومنها هبل لغرض الاستقسام بالقداح الموجدة أمامه، وذكر أنها سبعة، منها ما هو للزواج والولادة والسفر، فما خرج فعلوه[3]، وكان قربانه مائة بعير، وله حاجب يقوم بخدمته، وعنده ضرب عبدالمطلب جد النبي –صلى الله عليه وسلم– بالقداح على ابنه عبدالله، وكانوا إذا جاؤوا هُبل بالقربان ضربوا القداح وقالوا:

إنا اختلفنا فهب السراحا

ثـــلاثة يا هبل فصـــــاحا  الميت و العذرة و النكاحا

والبرء في المرض و الصحاحا  إن لم تقله فمر القداحا[4]

يُعد هُبل من أكثر الأصنام وأكبرها اهتمامًا داخل الكعبة، وهو مصنوع من العقيق الأحمر على صورة إنسان، وأن أول من جاء به ونصبه، هو مدركة بن إلياس بن مضر حيث كانت يده اليمنى مكسورة، ولمَّا أدركته قريش أضافوا له يدًا من ذهب، أما بالنسبة لتسميته، فقد اختلف في ذلك إذ رأى البعض أنه الإله بعل عند العبرانيين وأرتبط عندهم بالزراعة وكذلك الإله مردوك عند البابليين، معللين ذلك بأن هبل نصب على بئر في بطن مكة، تعرف ببئر الأخشف، ومن هنا كانت العلاقة بين هذه الإلهة[5].

إلـى جانـب هبـل وجـدت أصـنام إسـاف ونائلـة بمكـة، وتـورد المصـادر قصـة الصنميْن، التي مفادها أن إساف ونائله، هما: إساف ابن يعلي من جرهم، ونائلة بنت زيد من جرهم –أيضًا– وكانا عشيقين، قدِما لأداء الحج، فيبدو أن إساف

[1] ابن هشام، مصدر سابق، ج 1، ص72.

[2] الأزرقي، مصدر سابق، ج 1، ص 79.

[3] السيد عبدالعزيز سالم، مرجع سابق، ص 243.

[4] الأزرقي، مصدر سابق، ج1، ص 74.

[5] السيد عبدالعزيز سالم، مرجع سابق، ص 475؛ توفيق برو، مرجع سابق، ص 293.

فجر بنائله فمسخا إلى حجرين، ووضع بعد ذلك في الكعبة ليتعظ الناس بهما، ومع مرور الزمن عُبدَا[1].

وعُرفتْ أصنام أخرى، منها: مناف إذ تسمى بعض العرب عبد مناف، وذو الخلصة الذي ذكر في الشعر العربي عند الإشارة إلى قصة امرئ القيس، الذي استقسم عنده يطلب الخيرة، فخرج له ما ينهاه عن الثأر لأبيه، فغضب وسب الصنم ورماه بالحجارة، إذ قال:

لو كنت يا ذا الخُلص الموثورا مثلي، وكان شيخك المقتولا
لم تنه عن قتل العُداةِ زُورا[2]

كما عبدت مالك وملكان ابني كنانة صخرة طويلة يقال لها: سع، وتوجد قصة لهذا الصنم مع رجل من القبيلة المذكورة، الذي أقبل بإبل له ليقفها عليه، ربما بنية التبرك، فلما أذناها منه نفرت منه وتفرقت في جهات مختلفة، ربما لما وجدته من دماء على هذه الصخرة، ويفهم من ذلك أن سع هذا كان نصبًا لا صنمًا، فجزع العربي من ذلك وقال: لا بارك الله فيك إلهًا، أنفرت علي إبلي أنشد في ذلك:

أتينا إلى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فلا نحن من سعـــــد
وهل سعد إلا صخرة بتنوفة من الأرض لا يدعي لغي ولا رشد[3]

**ج) المجوسية–الدهريون:**

تُعد المجوسية من إحدى الديانات التي آمنت بها بعض القبائل العربية في الجزيرة العربية، فمصطلح مجوس يرجع إلى أصول فارسية، ويُطلق على أتباع الزردشتية التي نشأت خلال القرن السابع أو السادس ق.م.، بواسطة زرادشت الفارسي، وهي: ديانة شبه ثانوية؛ نظرًا لتبشيرها بالانتصار النهائي لأهورا مازدا (إله النور والخير)، على خصمه أهريمان (إله الظلمة والشر)، وهي إحدى أشهر

[1] الأزرقي، مصدر سابق، ج 1، ص74– 75؛ ابن هشام، مصدر سابق، ج1، ص77.
[2] برهان الدين دلو، مرجع سابق، ص 597.
[3] ابن هشام، مصدر سابق، ج 1، ص 76.

المذاهب الفارسية، ويقدس أتباعها النار ويستعملونها في شعائرهم الدينية، مما مهد إلى الاعتقاد في النار وعبدتها[1].

وقد ورد ذكر المجوس في موضع واحد في القرآن الكريم، في قوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالصَّٰبِـِٔينَ وَالنَّصَٰرَىٰ وَالمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ اللهَ يَفصِلُ بَينَهُمۡ يَومَ القِيَٰمَةِ إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾[2].

وجدت المجوسية طريقها إلى بلاد العرب عن طريق الاحتلال الفارسي لليمن من عام 575–628م، بعد طرد الأحباش منها، وكذلك في عمان والبحرين والحيرة، أو عن طريق الرقيق الفارسي؛ نظرًا لدرايتهم بشؤون الصناعة والزراعة، وهو ما سهل دخولهم إلى البلاد العربية، سيما وأن منطقة اليمامة شهدت استقرار مجموعة من الفرس، باعتبار اليمامة ريف أهل مكة، ومصدر إمدادها بالحبوب، إلى جانب وجود المعادن بها، لذا سهلوا دخول المجوس إليها لاستفادة من خبراتهم في مجالي الزراعة والصناعة[3]، وقد أُشير في كتاب فتوح البلدان إلى وجود المجوس في عمان والبحرين. حيث ذكر البلاذري بأن الرسول –صلى الله عليه وسلم– بعث بأبي زيد الأنصاري إلى عمان في السنة السادسة للهجرة، وطلب منه أخذ الزكاة من المسلمين والجزية من المجوس. وفي معرض حديثه عن البحرين تطرق إلى عدد من سادتها كانوا على دين المجوس، وهم: المنذر بن ساوي، أحد بن عبدالله بن زيد بن عبدالله بن دارم بن مالك بن حنظله وإلى سيبخت مرزبان هجر[4]، وقال: "فلما كانت سنة 8 (هـ) وجه الرسول –صلى الله عليه وسلم– العلاء بن عبدالله بن عماد الحضرمي يدعوا أهلها إلى الإسلام أو الجزية، وكتب معه إلى المنذر بن ساوي وإلى سيبخت مرزبان بهجر يدعوهما إلى الإسلام أو الجزية، فاسلما واسلم معهما جمع من العرب هناك وبعض

[1] برهان الدين دلو، مرجع سابق، ص 605.

[2] سورة الحج، الآية 17 .

[3] جواد علي، مرجع سابق، ج 6، ص 693– 694.

[4] أبو العباس أحمد بن يحي بن جابر البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق: عبدالله أنيس الطباع، عُمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، 1987م، ص 106–107.

العجـم، فأمـا أهـل الأرض مـن المجـوس واليهـود والنصـارى فـإنهم صـالحوا العلاء"[1].

كما وجدت المجوسية في تميم، فقد ذكر بأن زرارة بن عدس وابنه حاجب بن زرارة من أشراف تميم كانا ممن أعتنق المجوسية، كما اعتنقها الأقرع بن حابس وأبو الأسود جد وكيع بن حسان[2]، كما عثر في الشعر الجاهلي على دلالة لوجود مظاهر تقديس العرب للنار، مثل: نار الاستمطار، ونار التحالف. فقد زعم بعض العرب أن للنار دخلاً في نزول المطر، لذا عند احتباس المطر عنهم، وأصابهم اليأس من نزوله، جمعوا عدد من البقر، وأخذوا يعقدون في أذنابها وعراقيبها السلعة والعُشر، ويصعدون بها إلى الجبل الوعر، ثم يشعلون فيها النار، وفي ذلك يقول الشاعر الورل الطائي مستنكراً ذلك العمل:

لا درَّ درُّ رجال خاب سعيهم يستمطرون لدى الأزمات بالعُشر

أجاعل أنت بَيْقُورًا مُسلعـــة ذريعة لك بين اللهَ و المطر[3]

أما نار التحالف أو التحاليف، ونار المهول فقيل : أن بعض من القبائل العربية إذ عزمت الحلف أو اختصموا في شيء، واتفقوا على اليمين، حلفوا على النار، نظرًا لذلك عُرفت بنار التحاليف[4]، وقد أشار إليها أحد الشعراء بقوله:

هم خوفوني بالعمى هوة الردى كما شب نار الحالفين المهوّل[5]

ويذكرها شاعر أخر هو أوس بن حجر قائلاً:

إذا استقبلته الشمس صد بوجهه كما صد عن نار المهول حالف[6]

إذ كان العرب يؤمنون بقدرة النار على آمنهم، فإلى جانب ما ذكر، كانت هناك نار الغدر والتي تقام طقوسها بين جبلي مكة قبيس والأحمر أيام الحج؛ ونار السلامة التي توقد للعائد من سفره، إضافة إلى النار التي توقد من أجل الإهلاك

---

[1] البلاذري، مصدر سابق، ص 107.

[2] جواد علي، مرجع سابق، ج 6 ، ص 693.

[3] القلقشندي، مصدر سابق، ج 1، ص 466؛ برهان الدين دلو، مرجع سابق، ص 606.

[4] القلقشندي، مصدر سابق، ج 1، ص 466.

[5] جواد علي، مرجع سابق، ج 6 ، ص 697.

[6] نعمان محمود جبران، وآخرون ، مرجع سابق، ص 309.

كنار الطرد التي توقد للدعاء على شخص معين بعدم عودته، "ويقولون : أبعده الله و أسحقه، وأوقد نارًا في أثره"، و نار السلم التي تشتعل من أجل الملدوغ والمجروح ليشتد ألمه ويهلك[1].

**أما الدهريون:** فهم جماعات من العرب أنكر بعضهم الخالق والبعث والحياة الآخرة، وهم القائلون بالطبع المحي والدهر المفني[2]، وبعضهم آمن بالله الخالق وأنكر عملية الحساب في الحياة الآخرة وبعضهم أقرَّ بوجود الله ؛ ولكنه أنكر الرسل.

لقد وردت في القرآن الكريم إشارات تدل على بعض الصفات التي تم ذكرها، حيث قال تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾[3]، وقوله تعالى:﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ (33) وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ (34) أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ (35) هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (36) إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (37) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾[4]، وقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾[5]، وقوله تعالى في سورة الجاثية: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[6].

أخبر الله –سبحانه وتعالى– من خلال هذه الآيات الكريمة عن منكري البعث، بمعنى قولهم: ما الحياة إلا حياتنا التي نحن فيها في دار الدنيا، و لا يكون بعد الموت بعث ولا حساب، وأن ما يميتهم هو طول العمر والأيام

[1] محمود عرفة محمود، مرجع سابق، ص 251.

[2] برهان الدين دلو، مرجع سابق، ص 621.

[3] سورة المؤمنون، الآية 24.

[4] سورة المؤمنون، الآيات 33– 38.

[5] سورة الأنعام، الآية 29.

[6] سورة الجاثية، الآية 22.

والليالي، وطول العمر، إنكارًا منهم للخالق سبحانه وتعالى[1]، فقال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[2]. أي يتوهمون ويتخيلون[3]، إذ قال أحدهم:

فاستأثر الدهر الغداة يهم والدهر يرميني وما أرمي

يا دهر قد أكثرت فجعتنا بسراتنا ووقرت في العظم[4]

وقد روي في الحديث عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال: "لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر"، ومرجع ذلك أنه كان من العرب من ينسبُ الحوادث المجحفة وما يحل بهم من مصائب ومحن، أو عجز وهرم إلى الدهر، كقولهم: أصابتهم قوارع الدهر وحوادثه، وأبادهم الدهر، فيحملون الدهر مجرت ذلك، فيذمونه ويسبونه، لذا نهى الرسول –صلى الله عليه وسلم– عن ذلك[5].

كما أستعمل الزمان بمعنى الدهر عندهم، حيث نسبوا إليه ما نسبوه للدهر عندهم، من فعل في الإنسان والحياة والعالم، ولعلّ ما يؤيد ذلك الزمان الذي اشتكى منه زهير بن أبى سلمى، في مطلع قصيدته التي مدح بها هرم بن سنان قائلاً:

لمن الديارُ بقنة الحجر أقوين من حجـــــج ومن دهر

لعب الزمان بها وبغيّرها بَعدِي سوافي المُور والقطر[6]

❁ ❁ ❁

[1] أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار الفكر، بيروت، 1994م، ج 9، ص 116– 117.

[2] سورة الجاثية، الآية 22.

[3] عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن كثير الدمشقي، مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط 2، دار الفكر، بيروت، 1999م، ج 3، ص 309.

[4] الطبرسي، مصدر سابق، ج 9 ، ص 117.

[5] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1992م، ج4، ص 292؛ ابن كثير، مصدر سابق، ج 3، ص309؛ الطبرسي، مصدر سابق، ج 9، ص 117.

[6] جواد علي، مرجع سابق، ج 6 ، ص 150–151.

## الخاتمة

من خلال ما سبق يتضح بأن الإنسان القديم مرَّ بعدة مراحل تاريخية، تحول فيها من إنسان حيواني إلى إنسان عاقل استطاع أن يصل إلى فكرة الإدراك بما حوله؛ وذلك من خلال ما مرَّ به من ظروف طبيعية واجتماعية، أوصلته إلى حقيقة وجود إله يحكم الكون.

كما أن اجتهاد الإنسان القديم في التفكير بما حوله، وفي محاولة منه لتفسير ما يحدث وضع أديان اعتقد بها اعتقادًا تامًّا؛ بأن لها شأن في حمايته من الأخطار ومسئولة عن ما يحدث في بيئته، فتنوعت معتقداته ما بين بدائية انبثقت من حياته البسيطة كالطوطمية وعبادة الأسلاف؛ وحضرية نقلت إليهم من الدول المجاورة كعبادة الأصنام والمجوسية.

ضف إلى ذلك اعتقاد الإنسان في أبسط الأشياء من حوله كالحيوانات والأصنام طيلة سنوات عديدة، مكَّنته بأن يصل إلى الطابع التوحيدي للإله تمثل في عبادة ذين سماوي؛ وإن كان من الآلهة الوضعية، إلا أنها مهدت العقل إلى الإيمان بوحدانية الله، وتقبل الديانة التوحيدية التي نادى بها سيدنا إبراهيم –عليه السلام– في فترات ما قبل التاريخ.

## المصادر والمراجع

### أولاً: المصادر

القرآن الكريم.

ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل الدمشقي (1999). مختصر تفسير ابن كثير، تحقيق : محمد علي الصابوني، ط 2، ج 3، دار الفكر، بيروت، لبنان.

ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (1992). لسان العرب، ج 4، دار صادر، بيروت، لبنان.

ابن هشام، أبي محمد عبدالله (1975). السيرة النبوية، قدمها: عبدالرؤوف سعد، ج 1، دار الجيل، بيروت، لبنان.

الأزرقي، أبى الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد (د.ت.). أخبار مكة، ج 1، د.ط.

البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر (2003). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تخريج: عبدالرزاق غالب المهدي، ط 4، مج 2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

البلاذري، أبي العباس أحمد بن يحي بن جابر (1987). فتوح البلدان، تحقيق: عبدالله أنيس الطباع، وعُمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان.

الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر (1988). الحيوان، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، ج 2 و 8، دار الجيل، بيروت، لبنان.

الحموي، شهاب الدين أبى عبدالله ياقوت بن عبدالله (1977). معجم البلدان، مج 5، دار صادر، بيروت، لبنان.

الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي (2004). باب التأويل في معاني التنزيل، صححه: عبدالسلام محمد علي شاهين، مج 2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الزبيدي، محب الدين أبي فيض (د.ت.). تاج العروس من جواهر القاموس، ج 5، دار الفكر، بيروت، لبنان.

الشيخ، حسن (1993). العرب قبل الإسلام، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر.

الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن (1994). مجمع البيان في تفسير القرآن، ج 9، دار الفكر، بيروت، لبنان.

الطبري، أبو جعفر بن جرير (1997). جامع البيان في تأويل القرآن، هذبه: صلاح عبدالفتاح الخالد، خرج أحاديثه: إبراهيم محمد العلي، ج 5، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت.

القلقشندي، أحمد بن علي (1987). صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ج 2، دار الفكر، بيروت، لبنان.

المسعودي، أبي الحسن علي بن الحسين بن علي (2000). مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: سعيد محمد اللحام، ج 2، دار الفكر، بيروت، لبنان.

**ثانيًا: المراجع**

الحسين، قصي (2007). موسوعة الحضارة العربية "العصر الجاهلي"، دار البحار، دار الهلال، بيروت، لبنان.

الخطيب، محمد (2005). المجتمع العربي القديم، دار علاء الدين، دمشق، سوريا.

الهاشمي، عبد المنعم (2006). موسوعة تاريخ العرب "العصر الجاهلي"، دار الهلال، و دار البحار، بيروت، لبنان.

جبران، نعمان محمود؛ و آل ثاني، روضة سحيم حمد (1998). دراسات في تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام، مؤسسة حمادة للخدمات الجامعية، إربد، الأردن.

حمُّور، عرفان محمد (2006). مواسم العرب، ط 2، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

خان، محمد عبدالمعيد (2005). الأساطير العربية قبل الإسلام، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر.

دلو، برهان الدين (د.ت.). جزيرة العرب قبل الإسلام، ط 2، دار الفارابي، بيروت، لبنان.

سالم، السيد عبدالعزيز (1971). تاريخ العرب في عصر الجاهلية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

سمار، سعد عبود (2016). المعتقدات الميثودينية عند العرب قبل الإسلام، تموزة، دمشق، سوريا.
علي، جواد (1993). المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط 2، ج 1، جامعة بغداد، العراق.
كروزيه، موريس (1986). موسعة تاريخ الحضارات العام، ترجمة: أندريه ايمار، جانين أبواية، ط 2، ج 1، عويدات، بيروت، لبنان.
محمود، محمود عرفة (2002). العرب قبل الإسلام أحوالهم السياسية والدينية وأهم مظاهر حضارتهم، دار الثقافة العربية، القاهرة، مصر.
موسكاتي، سبتينو (1986). الحضارات السامية القديمة، ترجمة: السيد يعقوب بكر، دار الرقي، بيروت، لبنان.

# Positivistic Religions of the Arabs in The Arabian Peninsula before Islam

**Tahani Ramadan Alarbi**

Department of History, Faculty of Arts, Alasmarya Islamic University, Zliten, Libya.

**Email:** alarbay90@gmail.com

## Abstract

This research paper aims to study the Positivistic Religions of the Arabs in the Arabian Peninsula before Islam, in terms of the human being existence on Earth, its evolution and reaching consciousness phase. The consciousness which led mortals to access to the doctrine of the existence of hidden forces protecting them from dangers. This believe was due to the surrounding natural phenomena which was stronger than human beings so they tried hard to interpret it. The narrative analytical approach was used to achieve the objectives of this study. The most important results of this study is that human beings created and entrenched the positivist religions as a result of influence of the surrounding environment and the neighboring countries.

**Keywords:** Positivistic religions, Primitive religions, Urban religions, Totemism religion, Parsi religion.